# الأفاعي والآلهة

## السحر والآلهة السورية في اسطورة اوغاريتية

## هورون والأفاعي

بقلم: بيير بورد روي
تعريب وتلخيص: بشير زهدي

ان اعداد دليل معرض ( في بلاد بعل وعشتار عشرة آلاف عام من الفن في سورية ) أتاح لي فرصة استئناف دراسة الرقيم الابجدي ( رأس الشمرة ٢٤٤ ٢٤ ) المكتشف في أوغاريت عام ١٩٦١ والمعروف باسم ( هورون والافاعي )

ان هذه القصة الموجزة الواردة في اقل من مائة سطر من النص هي ( رقية سحر ) ضد الافاعي السامة ، عرضت بشكل قصة ميثولوجية محفوظة بكاملها ، وذلك بعكس وثائق عديدة متجانسة . وهذه القصة تتألف من عشرة ابتهالات موجهة من قبل امرأة تسمى ( ام الفحولة الكافال) التي هي ابنة الربة الشمسية ( شاباش ) الى ربات اوغاريت وغيرها . وبالابتداء بالرب ( ايلو ) ، فانها تطلب من كل منهم أن يمنحها القدرة على ابطال سم الافاعي .

١ – ام الفحولة ( الكافال ) ، بنت الحجر ، بنت السموات والمحيط .

٢ – صاحت نحو ( شاباش ) امها ، اوه ، شاباش ، امي ، انقلي صوتي .

٣ – الى ايلو ، الى نبع آلهة الانهار : عند ملتقى المحيطين .

٤ – انقلي سحري من عضة افعى سامة ، افعى

٥ – التي تسربت اوه . ايتها الساحرة ، امحقيه ، استأصلي .

٦ – سمه ، ولتكن الافعى مربوطة . والافعى التي انسلت تكون تغذية .

٧ – لديها مقعد وتجلس .

ان موقف ( ايلو ) سيتبناه كل الآلهة المبتهل اليها . ولكن لا يعرف تماما فيما اذا كانت قضية نهاية عدم تلقي ، او انه تدخل مؤقت مقارن بتدخل الشافي . ففي الفرضية الاولى فان المبتهلة كررت بدون جدوى طلبها بأن تكون الحية مربوطة . وفي الفرضية الثانية يدل النص بأن الافعى مربوطة ، ولكنها مربوطة لوقت فقط وان الهدف الذي تتبعه المبتهلة ، هو اكثر طموحا . وهو ان تلتمس قدرة دائمة على الافاعي السامة . وها هو ( هورون ) الرب الثاني عشر المبتهل اليه ذهب الى تلبية طلبها وهذا الرب قليل المصادفة في اوغاريت ، ولكن خاصته الارضية هي اليوم مؤيدة . انه رب شاب حتى ان نصا من ( راس ابن هانيء ) يدعوه ( غلام ) . وتعبر خاصته الحربية في سورية وفلسطين على

الاقل تعبر في الواقع عن فعاليته الشافية معارضة للقدرات المشؤومة .

ان هورون الذي ابتهلت اليه ( شاباش ) التي زارته بنفسها ـ قداخذ الاموربيده وانطلق الى أعمال عديدة تهدف الى جعل السم غير فعال . وقد حصلت ( ام فحل ) بنت (شاباش)، فيما يتعلق بها كجائزة لاحسانها ، حصلت بجمل ( سلطة هورون على الافاعي ) تنتقل اليها .

٦١ ـ تدير وجهها نحو هورون ، فهي بدون طفل .

٦٢ ـ في ميادينها . وقد ترك مدينة الشرق .

٦٣ ـ وها هو يتجه نحو ( أراسيخ ) الكبيرة

٦٤ ـ ونحو ( أراسيخ ) المروية جيدا .انتزع ( الاثلة ) بين الاشجار .

٦٥ ـ ان نبات الموت بين شجيرات دغال . وقد هز غرسة الاثلة من اجلها (المبتهلة)

٦٦ ـ وقطف عنقود التمر في سبيلها ، وجعل الضرر يمضي وذلك في سبيلها .

٦٧ ـ واختطف معه الوبال في سبيلها ، ووصل ( هورون ) الى بيتها .

٦٨ ـ فاتجه نحو غرفتها ، ففقد السم قوته كالسيل .

٦٩ ـ وذاب كشبكة ماء .

٧ ـ عليه طهرت البيوت ، وعليه اغلقت البيوت .

٧١ ـ عليه صفحت باب سحر الاذى .

٧٢ ـ باب البيت واحجار القصر وذهبت .

٧٣ ـ اعطني ـ كهدية ـ الافاعي ، والحردون السام ، اعطني اياها .

٧٤ ـ كمهري ، وصفار الزواحف كهدية .

٧٥ ـ اعطيك الافاعي مهرا.وصفار الزواحف هدية .

فهناك ثلاثة عناصر في هذا النص تجذب انتباهنا :

١ ـ سنحاول في بادىء الامرتحديد : في اي وقت من السنة أخذ هذا النص كل معناه . وبالنتيجة متى توجب لفظ هذه الابتهالات .

٢ ـ وعند النقطة الثانية ستعرض الدلالات التي تسمح بالتفكير بأن جغرافية النص تعود الى الجزيرة .

٣ ـ وأخيرا ، فانه رغم بضع مئات من السنين ، فان بضع مئات من الكيلومترات التي تفصل حضارة ( ماري ) عن حضارة ( اوغاريت) في العصر البرونزي الحديث ، سيلاحظ في النتيجة بأن أدب اوغاريت الابجدي لم يفقد ذكريات العاصمة السورية في منطقة الفرات الاوسط .

١ ـ في أي وقت من السنة كان يمكن لفظ مثل هذه الابتهالات ؟ ان جوابا وحيدا ممكنا ، هو ( الربيع ) . وسنعتمد لذلك على عنصر من النص المتعلق بالافاعي .

ففي السطر الخامس ، يطلب من الرب تجنب عضة افعى سامة . وقد ترجم المصطلح الاخير بذي قشور ، ويعرف اللفظ العربي ( القشار ) الذي يدل على جلد يمكن سقوطه . وهذا التفسير مقبول من وجهة نظر اشتقاقية ، فالجلد الممكن سقوطه والهرم المتداعي يميزان تماما مجموع الافاعي ويبقى فهم ما يعنيه ( عضة افعى سامة ) بالنسبة ( لعضة افعى ذات جلد يمكن سقوطه ) .

وافترض بأن الافعى التي انهت تسللها ، وغيرت جلدها .

آ ـ ومن المعروف ان اولى فعاليات الافاعي عند خروجها من سباتها الشتوي هي تسللها ، تلك العملية التي بها تتحرر من جلدها القديم .

وان الجلد الجديد مشاهد جيدا . وان الوان جلد الافعى متألقة بشكل خاص .

ب ـ أن الافاعي السامة تكون حينئذ جدا خطيرة بسبب تجمع السم في غددها خلال فترة طويلة من التخدر .

ج ـ ومباشرة بعد التسلل . يبدا طلب الغذاء بالنسبة للافعى .

ففي الربيع ، وفي الربيع فقط . توجد فترة قصيرة جدا تقوم الافاعي السامة خلالها ثلاث خصائص في آن واحد وهي :

١ ـ تغير جلدها

٢ ـ وهي غنية بالسم

٣ ـ وهي بدون طعام

واذا كان لفظ ( قشار ) يفيد معنى التي تسللت ، فان الترابط القائم في السطرين الرابع والخامس بين ( الافعى السامة ) و ( الافعى المتسللة ) يفسر جيدا لانه شوهدت الافعى المتسللة هي سامة بشكل خاص . وكذلك ( عملية التلقيم ) المذكور في السطر السابع في مكانها لان الافعى التي تسللت مازالت بدون طعام وان امتصاص الغذاء وهضمه يسهمان كلاهما في منع مفعولها ، لان اولهما يفرغ الاسنان الحادة من سمها ، ولان الاخر له تأثير في اخماد نشاط الافعى .

فكيف كان يستخدم هذا النص ؟

يمكن التفكير بأن وجود هذا النص او تلاوته في بيت مؤمن به يطمح حمايته واسرته من عضات الافاعي السامة ولا سيما المألوفة والخطيرة في فصل الربيع . واذا وجب الذهاب ابعد من ذلك وتفسير هذه الوثيقة ككتيب صغير لطقس سنوي فلا يكون عندئذ سوى ( طقس ربيعي ) يهدف الى حماية اوغاريت وشعبها من عضات الافاعي

٢ ـ بعدما تكلمنا عن الافاعي . فلنأت الان الى الآلهة للتساؤل عن مكان اقامة الآلهة التي ذكرت في النص . أي في أية منطقة يدرك هذا النص الاسطوري نقلنا اليه ؟

آ ـ بعدما دعت بدون جدوى الرب (ايلو) . اتجهت ( ابنة شاباش ) الى عدة ارباب في مكان اقامتهم المعتاد الذي يمكن أن يكون اسطوريا مثل مكان اقامة ( بعل ) في اعالي ( سافون ) . أو مكان اقامة ( شهر ) و ( شالم ) في السموات ويمكن ان تكون غير محددة مثل مكان اقامة ( عنات ـ عشتارت ) ، وغير اكيدة مثل مكان اقامة ( رشف ) في مدينة بيبيت . ومكان اقامة ( كوتار ـ خاسيس ) أو مكان اقامة ( ماليك ) في مدينة تسمى ( عشتروت ) .

ان مكاني الاقامة الالهيين يهماننا بشكل خاص لان مكانهما في وادي البليخ والفرات وهما

ـ مكان اقامة الرب ( دجن ) في توتول (التي ربما كانت في تل البيعة في الضواحي المباشرة للرقة الحالية ) .

ـ ومكان اقامة ( عشتارات ) في ماري .

ولنبق قليلا ايضا مع الرب ( هورون ) الذي هو بطل حديثنا . فكل فعاليته لها علاقة بالشرق . فقد زار مدينة الشرق ، واتجه نحو ( اراسيخ الكبيرة ) المروية جيدا . ومثل هذه التسمية لا يطبق الا على مدينة . وكانت معروفة في أوغاريت حيث تميز في اسطورة (فيريت) مدينة ( اوروم ) .

وظن بأن ( اراسيخ ) قد يكون اسم الدجلة الذي اعطى اسمه الى مدينة واقعة على ضفتيه . ان هذه الامثلة القليلة ، رغم عدم تأكيدها والقضايا التي تطرحها ، فانها تبدو لي كافية لقبول بلاد مابين النهرين ـ سورية كاطار جغرافي للقصة .

ب ) ان آلهة ماري التي سنتحدث عنها الان ظهرت في الوضع السابع في ابتهالات ابنة ( شاباش ) وهي مذكورة على هامش على قسم من الرقيم كما يلي : « بعد رشف عشتارت ، نحو عشتارت ماري .. » ويتبع حينئذ عنوان صيغة كل ترتيل « احمل سحري ضد الافعى السامة ... ويبدو هنا اهتمام الناسخ بالاشارة الى ان الابتهال الى (عشتارت) يقع بعد (رشف) وان مثل هذه الدقة يوضح فعالية طقس الشفاء متعلق بتعداد اسماء الالهة في ترتيب قانوني سابق النص نفسه ، وان هذا الترتيب يتضمن آلهة الجزيرة .

ان وجود اسم ( ماري ) مؤكد اذن ، ولكن هوية الربة المسماة هنا ( عشتارت ) من الصعب تأييدها . ان قائمة الآلهة المسماة ( بانتيون اوغاريت ) تمثل تعادل اسم ( عشتار ) المكتوب بالكتابة المسمارية المقطعية مع اسم ( عتارات ) المكتوب بالكتابة المسمارية الابجدية . فيكون اذن مشوقا توحيد ( عشتارت ) ماري المذكور في نص ( هورون والافاعي ) مع ( عشتار ) ماري التي يقع معبدها في غرب قصر ماري . وقد نسي في الكتابة الابجدية بانه يتوجب ان يتضمن اسم ( عشتار ) حرف ( ت ) النهائية كشارة تأنيث بسبب وجود بين آلهة اوغاريت عنصر ( عسار ) يجب عدم توحيده مع ( عشتار ) . وان جواب هذه القضية يكون في فحص مختلف المعابد المكتشفة في ماري .

ويذكر ان ( اندره بارو ) اكتشف عام ١٩٥٢ في شرق قصر ماري معبدين متصلين دعاهما : معبد ( نيني زازا ) ، ومعبد ( عشتارات ) . ومن المواد المكتشفة في المعبد الاخير وعاء عليه كتابة تعود الى عهد ( ايكو شماغان ) ملك ماري في القرن الرابع والعشرين ق.م ان هذا الوعاء ولوحة من الشيست المكتوبة مقدمان الى الربة التي قرىء اسمها ( اش ـ دار ـ را ـ آت ) وقد لاحظ الاستاذ دوسان الذي افترض هذه القراءة ، لاحظ بان اسم هذه الربة يبدو هنا بشكل انثوي يؤكد في بلاد آمور مثل ( عشتارتو ) . ان هذه هي الربة التي تناسب من يدعوها نص ( هورون والافاعي ) باسم ( عتار ) . وفي الواقع ، بمراجعة التصنيف الذي اقترحه في ( ندوة استراسبورغ ) في حزيران ١٩٨٣ ( و. ج. لامبير ) يمكن ان نميز بين ربات ماري ما يلي :

١ ـ عشتار مذكر ، مقدس في المعبد الواقع غرب القصر . وان اسم ( عشتار ) المذكر يذكرنا باسم الرب ( عشتا ) الذي كان في افول وذلك بعد الف سنة في اوغاريت .

٢ ـ ان عشتار ، الربة الرافدية المعروفة جيدا ، كانت مقدسة في ( معبد ) واقع شرق القصر سماه المنقبون ( معبد نيني زازا ) . وهذه الربة تقابل عشتار ـ عيتار ) المؤنثة في ( مجمع الهة اوغاريت ) .

٣ ـ واخيرا ، فان ( عشتارات ) المقدسة في المعبد المتصل بمعبد ( نيني زازا ) الذي دعاه المنقبون ( معبد عشتارات ) هي ( عشتارات ) ماري التي تتوجه اليها ابنة ( شاباش ) لشل فعالية سم الافاعي في نص ( هورون والافاعي ) .

ثالثا : منذ وقت قصير ، كنت افكر بأن ذكر ( ماري ) في نص ابجدي من العصر البرونزي الحديث كان ظاهرة منعزلة وللبقاء مدة طويلة . وكان ( دانييل آرنو ) ـ المسؤول عن الكتابة المقطعية من البعثة الاثرية الفرنسية في راس الشمرة اوغاريت ـ كان أخبرنا عن رسالة مكتشفة في اوغاريت ، وواردة من ماري ، وانها ستنشرها ( سيلفي لاكينباخر ) في مجلد ( ماري ) وهذا النص المكتوب باللغة الميدية الاشورية هو اذن بعد نهاية ( مملكة ماري ) ، ويذكر مؤلفه قضية ( خيول ) لتسليمها ، ولم ينقصه التماس ( كبار آلهة ماري ) .

انه دليل جديد لاشعاع مدينة ماري المدهش . فبعد مرور عدة قرون على عهد ( زمري ليم ) ، وفي منطقة ماري . كانت سلطة قدماء الالهة ما زالت معترفا بها ومعلنا عنها في اوغاريت ، على الشاطىء السوري حيث كانت ذكرى شهرة ( عشتارات ماري ) ما زالت محفوظة .